واقع المواقع الأثرية الرومانية بالجنوب الجزائري وسبل تطويرها من اجل التنمية السياحية: دراسة مقارنة بين حالة مواقع بالجزائر (ولاية بسكرة) وإيطاليا

La situation des sites archéologiques romains dans le sud algérien et les moyens de leur développement pour la promotion du tourisme : une étude comparative entre des sites en Algérie (wilaya de Biskra) et en Italie.

ط.د./ جوادي هناء

مخبر LACOMOFA/قسم الهندسة المعمارية/جامعة محمد خيضر بسكرة.

البريد الالكتروني: djouadi.hannah@gmail.com

أ. د./ بلكحل عز الدين

مخبر LACOMOFA/قسم الهندسة المعمارية/جامعة محمد خيضر بسكرة.

البريد الالكتروني: a.belakehal@univ-biskra.dz

أ. د./ زانوفلو باولا

قسم الممتلكات الثقافية/جامعة بادوفا/ايطاليا.

البريد الالكتروني: paola.zanovello.1@unipd.it

الملخص:

تم اختيار لهذه الدراسة ثلاث عينات من بين هذه المواقع : تهودة، وبادس والقصبات. وقد قورنت وضعية هذه المواقع ببعض مثيلاتها في إيطاليا كموقع نورا بسردينيا، ...الخ. واعتمادا على المعاينة الميدانية كمنهج بحثي لها، تهدف المقارنة بين مواقع الآثار الرومانية بجنوب الجزائر وبإيطاليا إلى معرفة أسباب الفوارق بين واقعهما في شمال وجنوب البحر الأبيض. من خلال بحثنا هذا، حاولنا الإجابة على الأسئلة الأساسية حول التقنيات المناسبة لتحديث ونقل المعرفة المتعلقة بالمواقع الأثرية الرومانية الواقعة على الليمس الجنوبي من اجل المحافظة عليها وإعادة الاعتبار لهذا الإرث العمراني لاستعمالها قصد التنمية السياحية العالمية بمنطقة بسكرة. وقد كشفت الدراسة بأن موقع تهودة هو الوحيد الذي استفاد من عمليات حفر واستكشاف حديثة بينما لم يحض موقعا بادس والقصبات إلا من سور حماية. يرجع ذلك لعدة أسباب منها التعقيدات الإدارية في عمليات الحفاظ من جهة، وعدم وضوح الهياكل على سطح أرضية المواقع من جهة أخرى. على عكس ذلك لوحظ بأن المواقع الأثرية بإيطاليا تشهد عدة تدخلات حديثة من اجل إعادة الاعتبار والتعريف بها ليس فقط لدى المختصين بل إلى كافة شرائح المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التراث الأثري الروماني، تحديث المعارف، إيصال المعارف، التقنيات الحديثة.

Résumé:

Face à l'importance, la diversité des vestiges et des ruines datant de différentes époques à Biskra, certains sont délaissés complètement et d'autres restent méconnus mis à part quelques écrits et descriptions des anciens historiens de la période coloniale. A cet effet, il sera indispensable d'actualiser et transmettre toutes ces connaissances aux différentes catégories de la société. Cette réalité douloureuse se manifeste dans les sites archéologiques romains situés sur le limes sud (dispositif de défense établi par les romains). Dans notre étude, trois sites archéologiques ont été choisis : Thouda / Tehouda / Tahouda (Thabudeos), Badès (Badias) et El Kasbat (Gemellae). Ces sites ont été comparés par la suite à d'autres sites romains en Italie comme le site de Nora à Sardaigne. L'objectif de cette comparaison est de déceler l'écart avec le cas de l'Algérie et d'en tirer des enseignements pourront servir pour de futures alternatives sur les sites archéologiques de l'Algérie. A travers notre recherche, nous avons tenté de répondre aux questions fondamentales relatives aux techniques adéquates pour l'actualisation et la transmission des connaissances sur les sites archéologiques romains situés sur le limes sud. Ceci a pour objectif la protection, la valorisation de cet héritage urbain et notamment le développement touristique de la ville de Biskra. Cette étude a conclu que le site de Thouda est le seul site qui a récemment bénéficié des interventions de fouilles, tandis que, les sites archéologiques Badés et El Kasbat n'ont bénéficié qu'un mur de protection. Ceci est la cause de plusieurs facteurs ; parmi eux la complexité, l'étendue et l'inapparence des structures sur le sol. Comparativement aux sites archéologiques en Italie, la mise au jour des vestiges se fait au moyen de la nouvelle technologie afin de les revaloriser et les faire découvrir non seulement aux spécialistes mais aussi à toutes les tranches de la société.

Mots clés: Patrimoine archéologique romain, Actualisation des connaissances, Transmission des connaissances, Nouvelle technologie.

عرف علم الآثار في السنوات الأخيرة تطورا ملحوظا فيما يخص الطرق والتقنيات الحديثة المستعملة في الميدان وهذا بهدف التقليل من إتلاف المواقع الأثرية، توعية المجتمع بأهميتها والمحافظة عليها من الاندثار.

في الجزائر، الدولة ذات الآثار العريقة والمتنوعة التي تمتد جذورها من العصور القديمة،الوسطى فالحديثة، إلا أن هذه الأخيرة تعاني من إهمال وتهميش كبيرين من طرف السلطة والمجتمع. هذا ما دفعنا إلى التطرق لهذين المجالين على الصعيدين الدولي والوطني من أجل تحديد الاختلافات الرئيسية بينهما.في دراستنا قمنا بأجراء دراسة لثلاثة مواقع أثرية رومانية في الجزائر تقع على "خط الليمس"

الصحراوي (نظام الدفاع الذي أنشأه الرومان) ثم قمنا بمقارنتها بالمواقع الموجودة في إيطاليا مثل المواقع الأثرية الرومانية التالية: روما، بادوفا (مونتيغروتو ترم) وساردانيا.

يحاول هذا البحث الإجابة عن سؤالين أساسيين، أولا العوامل المسئولة عن التغييرات الحاصلة لهذه المواقع الأثرية ،ثانيا الأساليب والتقنيات المختلفة التي يجب تطبيقها من أجل تحديث ونقل المعرفة حول المواقع الأثرية الرومانية. يهدف هذا البحث إلى معرفة الفارق الموجود بين المواقع الأثرية الرومانية في الجزائر وتلك الموجودة في إيطاليا من حيث تحديث ونقل المعرفة إلى عامة المجتمع من اجل اقتراح توصيات لتحسين وضع المواقع الرومانية مستقبلا خاصة الواقعة بمدينة بسكرة.

من اجل الوصول إلى الأهداف المرجوة، اعتمدنا في بحثنا من ناحية، قراءة دقيقة للمراجع المتعلقة بالمواقع الأثرية الجزائرية وخاصة أعمال جون باراداز سنة 1947م، ومن ناحية أخرى، تحريات ميدانية للمواقع الأثرية الرومانية المعنية بالبحث من اجل المقارنة بين المعلومات التي تم جمعها وتلك الموجودة في المراجع. قمنا كذلك بإجراء سبعة عشر مقابلة مع مختلف الجهات الفاعلة من مسؤولين جزائريين وايطاليين كانت لهم العديد من المشاركات في عمليات تحديث ونقل المعرفة حول المواقع الأثرية. إحدى عشر منهم مع جزائريين وستة مع مختصين ايطاليين حيث سمحت لنا هذه المقابلات باستخلاص بعض المعلومات حول الوضع الحالي لمواقعنا الأثرية والإجراءات المستقبلية الممكنة من حيث تحديث المعرفة ونقلها لعامة الناس.

1. حالة المواقع الأثرية في الجزائر: تحديث ونقل المعرفة:

1.1الموقع الأثري تهودة (ثابوديوس):

لعبت تهوده دورا مهما خلال الحقبة الرومانية بفضل موقعها التجاري الاستراتيجي وكونها تندرج ضمن سلسلة من المدن المحصنة المكونة لنظام الليمس[1] (**الصورة 01**).



الصورة 01 : موقع تهودة الأثري، عن: الباحثة 2016م.

[1]- HADJI, Y-R., 2006, pp. 323-339.

منذ الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان سنة 1844م، عرفت تهودة العديد من الزيارات العلمية من طرف مسافرين، مؤرخين وحتى ضباط فرنسيين.[2] ومع ذلك، فقد ظل هذا الموقع مهملاً لفترة طويلة حيث لم يتم اتخاذ أي إجراء حاسم منذ الاستقلال إلى غاية إعداد مخطط الحماية ورد الاعتبار سنة 2009م. منذ ذلك الحين، تم استرجاع العديد شواهد أثرية مادية من قبل سكان المنطقة[3] **(الصورة 02)**.



الصورة 02: الشواهد المسترجعة من قبل سكان المنطقة. عن: الباحثة، 2016م.

بفضل الأبحاث الميدانية الحديثة التي قام بها البروفيسور حاجي ياسين رابح وطلبته كل سنة من مسح وحفريات سنوية منذ2011م لهذا الموقع وبعد القيام بالعديد من التصحيحات للمعلومات السابقة خاصة تلك التي تعود للفترة الاستعمارية، تم الإبلاغ عن اكتشافات جديدة لأول مرة على مستوى القلعة[4]. أصبحت اليوم هذه الدراسات قاعدة الأثرية الحقيقية يمكن الرجوع إليها من طرف الباحثين.

وفقًا لزياراتنا والملاحظات التي تمت على الموقع خلال شهر ديسمبر 2016م وفبراير 2017م، أصبح موقع تهوده متاحًا حاليًا وآمنًا مقارنة بما سبق. لكن مشكلة نقل المعرفة ونشرها لا تزال قائمة. نلاحظ الافتقار التام لمعدات الجذب التي يمكن أن تشارك في تنشيط هذا الموقع وتوقظ الوعي التراثي بما في ذلك فئة الشباب.



الصورة 03 : موقع بادس الأثري. عن: الباحثة، 2016م.

[2]- MORIZOT, P., 2010, 154-2, pp. 817-841.

[3]- تريعة، السعيد، 2016م، ص ص. 23-31.

[4]- HADJI, Y-R., 2006.

على عكس الموقع الأثري الروماني تهودة، فإن المواقع الأثرية ببادس **(الصورة 03)** والقصبات **(الصورة 04)**، لم يستفدوا إلا بعد استقلال بسياج واقي، ولم يتم إجراء أي تدخلات حديثة بسبب اتساع مساحة البقايا الأثرية التي مازالت لحد الآن مدفونة تحت الأرض بما في ذلك موقع القصبات حيث تتطلب عمليات التحديث وسائل وتقنيات متطورة من اجل تسهيل عمليات الحفر.



الصورة 04 : موقع القصبات الأثري. عن: الباحثة، 2016م.

2. حالة المواقع الأثرية في إيطاليا: تحديث ونقل المعرفة:

في السنوات الأخيرة، تم إعطاء أهمية كبيرة للتراث الأثري لأسباب عديدة: سياسية، واقتصادية واجتماعية. يظهر هذا بوضوح من خلال توفر وتنوع المعلومات على مختلف وسائل الترويج العلمي: الكتب، والمؤتمرات، والمعارض، وورش العمل، والأحداث الثقافية. تم تنفيذ العديد من المشاريع بايطاليا كجزء من التعاون بين مختلف الجامعات من أجل نشر المزيد من المعلومات حول التراث الأثري والتاريخي والثقافي لإقليم ما[5].

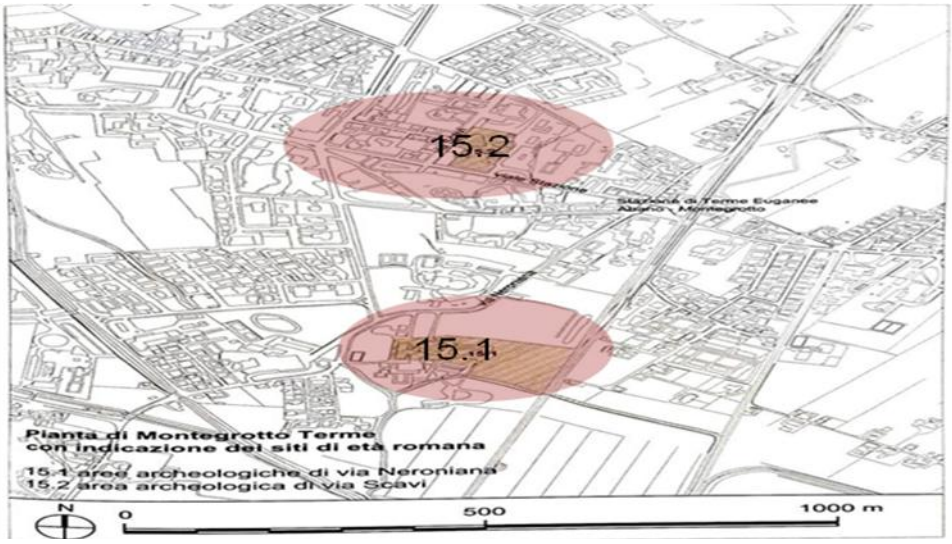
تنوعت الأساليب والتقنيات المستخدمة اليوم في إيطاليا، نذكر منها: المناظر الجوية، وصور الأقمار الصناعية، وLIDAR، والمسح الأرضي (الجيولوجي والجيومورفولوجي والهيدرولوجي).

[5]- GHEDINI, F. ; ZANOVELLO, P. ; DESTRO, C. ; BRESSAN, M., 2013, pp. 115-129.

1.2 موقع مونتغرتو ترم « motegrotto terme» (Aquae Patavinae):

مونتغروتو ترم بلدية بمقاطعة بادوفا بإقليم فينيتو شمال إيطاليا، معروفة في العصور القديمة باسم "Aquae Patavinae" أو "Aqua Water" [6].

ظهر المعالم الأثرية الأكثر أهمية في هذه المنطقة في كل من حي "Stazione / via degli scavi" و"via Neroniana" (**الصورة 05**).



الصورة 05: خريطة توضح مكان الآثار المتبقية. 15.1: منطقة « Via Neroniana »، 15.2: منطقة « Via Scavi». عن: BONETTO, J. ; VERONESE, F. ; ELENA, P., Op. Cit.

تم تسليط الضوء على ثلاثة مواقع رئيسية في المشروع "Aquae Patavinae"، حيث تم استخدام العديد من التقنيات: المناظر الجوية، وصور الأقمار الصناعية، وLIDAR، والمسوحات الأرضية، والتحليل الجيولوجي والجيومورفولوجي والهيدرولوجي، ...إلخ. بعد ذلك، تم وضع هذه المواقع المدروسة على خرائط جغرافية.

بدأ مشروع التحديث وإعادة الاعتبار "Aquae Patavinae" في عام 2005م كجزء من التعاون بين هيئة الإشراف على التراث الأثري في فينيتو وجامعة وبلدية مونتغروتو وبادوفا. الهدف من هذا المشروع هو نشر معلومات عن التراث الأثري والتاريخي والثقافي لإقليم دام لأكثر من



الصورة 06 : هياكل حماية. عن: الباحثة، 2017م.

[6]- BONETTO, J. ; VERONESE, F. ; ELENA, P., 2017.

ثلاثة آلاف عام.

بدأ تحديث المعرفة عن الموقع في عامي 1781م و1788م، بعد حفريات الأرستقراطي جيوفاني دوندي ديل أورولوجيو. في عام 1953م، ظهرت هياكل أخرى أثناء بناء المدينة. خلال السنوات 60-70 من القرن التاسع عشر، تم اكتشاف مبان أخرى مهمة. خلال جولتنا المصحوبة بمرشدين في 11-11-2017م، وجدنا أن المواقع الأثرية في مونتغرتو ترم محمية بشكل جيد خاصة بواسطة الهياكل والأغطية الفولاذية (**الصورة 06**).

1.1.2 مبنى (فيلا) نيرونيانا:

تم بناء هذه الفيلا الفاخرة خلال بداية القرن الأول الميلادي. تم استخدامه وترميمه حتى القرن الرابع للميلاد. تم اكتشاف البقايا الأولى في عام 1988م أثناء الحرث. بعد ذلك، أجرت هيئة الرقابة الأثرية في فينيتو استكشافات مع المسوحات الجغرافية والحفر في عام 1989م.

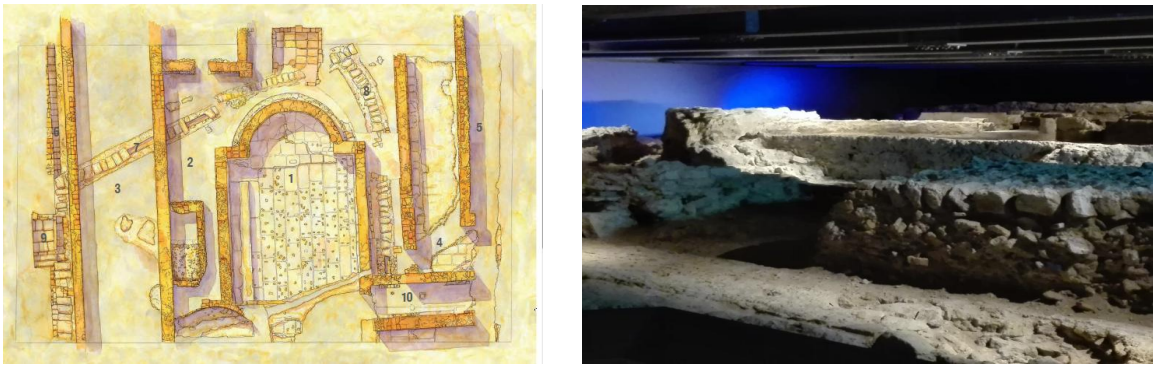
منذ عام 2001م، تقوم جامعة بادوفا بدراسة واستكشاف المنطقة التي تقع بها الفيلا. بعد بحث معمق لعدة سنوات، تم تقديم عرض ثلاثي الأبعاد افتراضي لهذه الفيلا (**الصورة 07**).



الصورة 07 : تصميم الافتراضي ثلاثي الأبعاد. عن: الباحثة، 2017م.

2.2.2. الحمام الروماني الموجود تحت فندق حديث بـ "تورنيانا":

الحمام الروماني عبارة عن مجمع يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي. يقع هذا المنتجع تحت مطعم حديث (**الصورة 08**).



الصورة 08 : الحمام الروماني بنرونيانا. عن: الباحثة 2017م.

يتم تمييز مجمع الحمامات هذا بشكل أفضل باستخدام العديد من التقنيات التي تسهل فهم الموقع لفئات مختلفة من الزوار:

رسم الخرائط لمرحلة مختلفة من الموقع، اعرض افتراضي ثلاثي الأبعاد، هيكل الحماية وإضاءة اصطناعية داخل البقايا الأثرية **(الصورة 09)**.



الصورة 09 : الإضاءة الاصطناعية للحمام الروماني. عن: الباحثة 2017م.

3. تحديث ونقل المعارف الفارق الموجود بين الجزائر وايطاليا:

من خلال دراستنا الدقيقة لمختلف المراجع التي تطرقت إلى المواقع الأثرية المدروسة والنتائج المتوصل إليها من خلال مقابلاتنا، وجدنا أن هناك فرقًا واضحًا بين تحديث المعرفة في الجزائر وتلك الموجودة على المستوى الدولي. على مستوى هذا الأخير، أصبح استخدام التقنيات الحديثة ضرورة ؛ السبب الذي يجعل التكنولوجيا اليوم في خدمة علماء الآثار حتى لا تضر ببقايا الآثار ودقة المعلومات المتحصل عليها. ومع ذلك، في الجزائر، الافتقار إلى التقنيات الحديثة والمتخصصين الذين يتقنونها تظل المشكلة الرئيسية التي تعرقل تقدم التدخلات الميدانية. في بلدنا، تعتبر التقنيات، التي لا تزال تستخدم حتى اليوم، في عمليات التحديث (الاستكشاف أو الاستطلاعات أو حتى الحفريات) بدائية.

بالنسبة لنقل المعرفة على المستوى الدولي، فإن الدراسات والوسائل التي في خدمة شرائح المجتمع عديدة من نصوص سهلة الفهم، صور إلى غاية العروض الافتراضية ثلاثية الأبعاد بجميع أنواعها. في الجزائر، على غرار تحديث المعرفة، يطرح نقلها العديد من المشكلات، بما في ذلك: التقنيات الملائمة لكل موقع، وكذلك المختصين كوسائط مختصين بين المسؤولين وكافة أفراد المجتمع.

الخاتمة:

من خلال المقابلات التي أجريناها مع مختلف المتخصصين ومن خلال تجاربهم وممارساتهم الميدانية، حاولنا فهم، من ناحية، الأجهزة والأدوات التي يجب أخذها بعين الاعتبار لتحديث المعرفة ولتثمين المواقع الأثرية الرومانية في منطقة بسكرة ضد مختلف الأخطار المحتملة مستقبلا. ومن ناحية أخرى، معرفة العوامل المسؤولة عن التغييرات التي مرت بها هذه المواقع.

في الجزائر، هناك نقص كبير من حيث تحديث المعرفة مقارنة مع الفترة الاستعمارية. ويظهر هذا بوضوح من خلال عدم وجود مرجع أثري رسمي للمواقع. العوامل المسؤولة عن هذا الواقع عديدة نذكر منها: عدم توفر الأدوات والمتخصصين الذين يتقنونها والافتقار إلى الوسائل المالية لتحديث المعرفة بالمواقع الأثرية. مقارنة بالمواقع الأثرية الموجودة في الدول المتقدمة وخاصة في إيطاليا، تم اكتشاف فارق كبير في مستوى تدخلات التحديث ونقل المعرفة، خاصة تلك الموجودة في الجنوب، كما هو الحال في منطقة بسكرة. يظل نشر المعرفة مقصورًا على المؤتمرات والمقالات الأكاديمية دون تعميمها على جميع شرائح وفئات المجتمع. من أجل تحسين الوضع المقلق لمواقعنا الأثرية، يجب أولاً أن نحصل على جرد المواقع الأثرية والتاريخية في الجزائر بالتعاون بين التخصصات المختلفة ثم، تعميم كل هذه المعارف من خلال مختصين بتعميم المعارف.

وفي الأخيرً، واحدة من النتائج المهمة لهذا البحث هي تلك المتعلقة بالأساليب والتقنيات المختلفة لتحديث المعرفة. يختلف اختيار هذه التقنيات من موقع أثري إلى آخر وفقًا لعدد من الشروط، وهي: خصوصية الموقع (الموقع ونوع وحالة الموقع)، توفر التقنيات الميدانية.

البيبليوغرافيا:

1. تريعة، السعيد، 2016م، "دور السكان في حماية التراث المادي، نماذج من مواقع أثرية بالزيبان"، مجلة تراث الزيبان، 01، 2016م، ص ص. 22-32.

2. BONETTO, J. ; VERONESE, F. ; ELENA, P., 2017, Padova : La cite di Tito Livio, Padova.
3. GHEDINI, F. ; ZANOVELLO, P. ; DESTRO, C. ; BRESSAN, M., 2013, « Il progetto Aquae Patavinae a Montegrotto Terme (Padova). Dallo scavo alla valorizzazione di un territorio », in Atti del convegno Scienza e Beni Culturali, Conservazione e valorizzazione dei siti archeologici, Bressanone, 9-12 luglio 2013, a cura di G. Biscontin, G. Driussi, Venezia, pp. 115-129.
4. HADJI, Y-R., 2006, « Thouda, aperçu archéologique », in Aouras, 3, pp. 323-339.
5. MORIZOT, P., 2010, « Regard sur les inscriptions de Thouda du XVIIIe siècle à nos jours (Note d'information) », in CRAI, 154-2, pp. 817-841.